المطران نعمة الله ابي كرم ومعرّباته

مجموعة الردود على الخوارج[1] ــ الحكمة الادبية[2]

بقلم الاب توتل اليسوعي

كانت الترجمة على العهد العباسي الذهبي سبباً من اسباب النهضة الادبية التي مثّمت العرب باحسن مؤلفات الشعوب مجاوريهم ، واخصهم اليونان ؛ وما زالت الترجمة الى يومنا داعياً من دواعي الانماء الادبي والعلمي فينا ، فلا يبرز اديب في مضمار التأليف ، سواء أكان ذلك في لبنان وسورية او في مصر ، الا وقد تشبّع مما تلقنه من الآداب الغربية ، او مما قرأه منها مباشرةً في متنه ، او منقولاً في تعريبه . فللمعرّبين فضل مقدر على قدر منافع المؤلفات المنقولة . وان الكتب الفلسفية التي هذبت عقول ارقى بني البشر عمراناً في القرون الوسطى وفي ايامنا ، وهيأتها الى بلوغ اوج النجاح في المعارف ، لهي انفع ما يزفّ الى قراء العربية ، ومن اشهرها في القرون الخوالي مجموعة الردود على الخوارج للقديس توما اللاهوتي ؛ ومن احقها بان تمثّل الفلسفة المدرسية المستحدثة كتب الكردينال مرسيه البلجكي ، فالفضل كل الفضل لناقلها الى العربية .

---

١) مطبعة المرسلين اللبنانيين – جونية ١٩٣١ – ٥٤٧ ص متوسطة .

٢) مطبعة دير سيدة المعونات - جبيل ١٩٣١– ٤٧٢ ص متوسطة .

وعن قريب ستظهر سائر المخطوطات التي تركها المؤلف المرحوم في العلم الاجتماعي والمحاكمات الكنسية مع منتخبات اعتقادية من القديس توما الاكويني ردا على اليونان والارمن والعرب وغيرهم، وذلك بعناية واهتمام ابن اخيه الاب مارون ابي كرم اللبناني الدكتور في الفلسفة واللاهوت والحق القانوني . وكل هذه الآثار التي ظهرت والتي ستظهر تطلب من حضرة الناشر المذكور ، في برمانا (لبنان) .

حياة المطران ـ كتبه

قضى المطران نعمة الله نحبه قبل ان يتمّ طبع الكتابين اللذين توخينا وصفها، فاخذ حضرة ابن اخيه الاب مارون ابي كرم اللبناني، الدكتور في الفلسفة واللاهوت والحق القانوني، على عاتقه مهمة نشرهما. وصدر مجموعة الردود بنبذة ذكر فيها تاريخ اسرة ابي كرم، وترجم لعمه.

ولد، رحمه الله، في ١٢ كانون الثاني ١٨٥١. ونشأ في برمانا، ودرس في اكليريكية الآباء اليسوعيين في غزير (١٨٦٤) وسيم كاهناً سنة ١٨٧٦. وعلم اللاتينية والعربية في مدرسة الاباء المذكورين، وقد نقلوها الى بيروت سنة ١٨٧٥، وعاون في تحرير «البشير»، مشتغلاً في قلم التعريب، فترجم رسالة البابا لاون الثالث عشر الشهيرة في مستحدثات الزمان (*Rerum Novarum*) او في مشكل العمال (١٨٩٣). ثم انتقل الى مدرسة قرنة شهوان فعلم فيها مدة سبع سنوات؛ ومنها الى دير مار شعيا القريب من برمانا، فمدرسة الآباء الكبوشيين في عبيه، فمدرسة قرنة شهوان للمرة الثانية، فمدرسة الآباء الجليين الملكيين في صربا. الى ان أهبته خبرته في التعليم واحتكاكه بالناس الى رئاسة المدرسة المارونية في رومة، فرحل الى المدينة الابدية سنة ١٩٠٦، واقام فيها سائر ايام حياته الا اشهراً معدودة، زار في غضونها لبنان (١٩٠٤) وفرنسة (١٩٢٩). ثم عاد الى لبنان في صيف ١٩٣٠. وما ان اقام فيه مدة وجيزة حتى اشعر بانحطاط قواه وقدوم اجله. فتأهب للقاء ربه وانتقل الى رحمته تعالى.

وكان قد رقي الى درجة الاسقف في ٢٢ حزيران من السنة ١٩١٣، فتخلى عن الرئاسة وانقطع الى الكتابة والتأليف. واليك لائحة مؤلفاته المطبوعة، وكلها مرجعها الى العلوم النظرية:

ذخيرة الالباب في علم الكتاب [المقدس] (١٨٨٤)

قسطاس الاحكام (١٩٠٠) ٢ اجزاء.

الفلسفة النظرية للكردينال مرسيه ٧ اجزاء، ومنها الاخير «في الحقوق» (١٩٣١)

مجموعة الردود على الخوارج (١٩٣١) جزء ١

كتاب النجاة لابن سينا (مترجم الى اللاتينية) جزء ١

وله ايضاً تآليف اخرى ستظهر بالطبع اشهرها علم الاجتماع ، والمحاكمات الكنسية.

مجموعة الردود على الخوارج

ان مهمة ترجمة كتب القديس توما اللاهوتي ليست بالامر الهين ، والافرنسيون ، على ما لديهم من الوسائل الفائقة ، من مرونة اللغة ، ووفرة الالفاظ الفلسفية ، واساليب التعابير النظرية الدقيقة في بيئة توقد القرائح وتشجع المؤلفين على الاجادة والتأليف ، الافرنسيون احجموا ، حتى اليوم ، عن نقل مجموعة الردود الى لغتهم ومنهم المتدربون على العلوم النظرية ، المتضلعون من الدروس الفلسفية ، ممن يستطيعون فكّ الغاز الاصطلاح الفلسفي المدرسي والكشف على مغمضات المعاني.

على ان اقبال النخبة الراقية من المثقفين في فرنسة على الدروس الفلسفية وتشوقها الى قراءة كتب القديس توما استحث بعض اساتذة الفلسفة الكاثوليكيين على نقل الخلاصة اللاهوتية الكبرى الى لغتهم . ولعلهم ينقلون اليها ايضاً مجموعة الردود على الخوارج.

فاذا تحقق ما تقدم سالنا أنفسنا قائلين: اين بلغ قراء العربية من الاستعداد لقراءة القديس توما؟ اذا استثنينا بعض الكهنة الشرقيين ، لا نكاد نرى من قدروا ترجمة « الخلاصة » للسيد بولس عواد حق قدرها . على ان الحركة الفكرية في يومنا غير ما كانت عليه منذ ربع جيل ، وانصراف الهمم الى الفلسفة في المدارس الثانوية مدعاة الى التفاؤل في حسن مستقبل الكتب العلمية النظرية.

ومهما يكن من الامر فقد ازدانت خزانة الاداب العربية بتحفة تباري اعز مؤلفات الفلاسفة العرب افكاراً وفحوى . بفضل المرحوم المطران نعمة الله ابي كرم.

ان مجموعة الردود على الخوارج تتناول البحث في كل ما يتسنى للعقل البشري النظر فيه عن الله باعتباره في ذاته (الكتاب الاول) واعتبار صدور

الخلائق عنه (الكتاب الثاني) وفي انتظام المخلوقات الى الله بكونه غايتها (الكتاب الثالث والرابع).

ومَن هم الخوارج الذين ردّ عليهم القديس توما؟ قد يجاوز عددهم المئة ومن جملتهم الفلاسفة العرب. وقد احصيت الاقوال والروايات المنسوبة اليهم الواردة في الكتاب، فاذا فيها اسم مشاهير فلاسفة العرب يأتي كما يلي: ابن رشد: ٥٣ مرة؛ ابن طفيل: مرة؛ ابن غبريل: مرة؛ ابن سينا: ٢٧ مرة، الغزالي: مرتين.

وقد يكون ابن رشد اول الخصوم الذين ردّ عليهم القديس توما - لا كأن المعلم المسيحي آلى على نفسه ألّا يخالف الفيلسوف العربي طرًّا، ومنزلة ابن رشد عند القديس توما عظيمة، وهو في نظره شارح ارسطو الاعظم. لكنه آخذه بذهابه في تفسير ارسطو مذاهب الضلال فيما يمسّ مبادئ التعليم الكاثوليكي؛ او بالاحرى عاب على الرشديين، وهم الفلاسفة المدرسيون الافرنج المحتجون باسم ابن رشد، اساءة معالجتهم المشاكل الفلسفية الكبرى، حتى وضعوا موضع الشك امر وجود الله، وخلود النفس، والثواب والعقاب، ونقضوا مبادئ العقل السليم - على هؤلاء ايضاً ردّ القديس توما.

هذا وقد عرب المطران المرحوم ربع «مجموعة الردود» الاول؛ اما الارباع الثلاثة الباقية فهي بحاجة الى معرب آخر، فعسى ان يظهر في الناشئة الاكليريكية كاتب جدير بان يوفق الى تتمة ذلك المشروع الخطير.

الحكمة الادبية: فرعها الاول في الحقوق

هو الجزء السابع من مجموعة الفلسفة النظرية للكردينال مرسيه، هذا فيه المعرب حذوه في تعريب الردود وذيله تذييله الردود بحواش ونظرات مفيدة؛ لكن هذا الجزء دون الردود اتقاناً في الطبع ورونقاً في الورق.

الكردينال مرسيه اشهر من ان نعرفه الى القراء. ولد سنة ١٨٥١ في ابرشية مالين في بلجيكة، نبغ بالعلم والفضيلة، وصار كردينالاً سنة ١٩٠٧ ووقف ايام الحرب الكبرى تجاه اعداء بلاده وقفة الاحبار معلمي الكنيسة

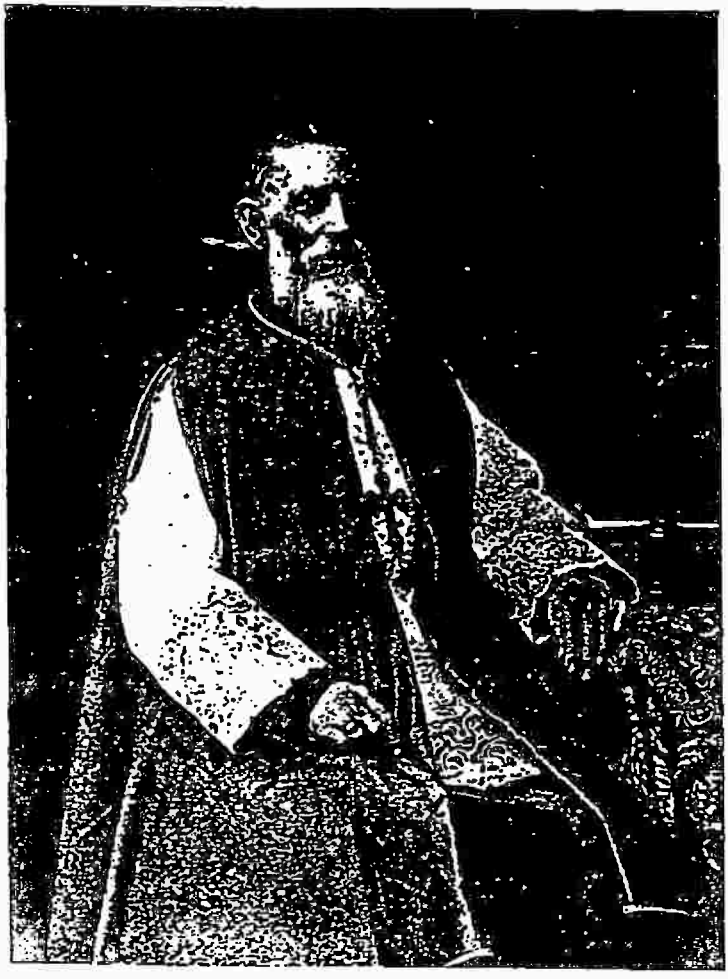

المثلث الرحمات

المطران نعمة الله ابي كرم الماروني

(١٨٥١ – ١٩٣١)

الاقدمين ، وهو قطب من اقطاب اللاهوت الكاثوليكي وخير ممثل للفلسفة المدرسية المستحدثة . مؤلفاته عديدة اشهرها كتاب الفلسفة النظرية باجزائه السبعة ، وقد قرب منالها من قراء العربية السيد نعمة الله ابي كرم ، وهوذا بين يدينا الكتاب الاخير وعنوانه : الحكمة الادبية بوجه الخصوص : فرعها الاول في الحقوق ، وفيه « قواعد الحق الطبيعي التي ينبني عليها ما علينا وما لنا من الواجبات والحقوق نحو القريب ونحو الاجتماع بوجه الاجمال ، مستخلصة من الشريعة الطبيعية استخلاصاً منطقياً »

قلنا سابقاً ان باكورة اعمال المعرب كانت رسالة البابا لاون الثالث عشر في شأن العمال ، وها ان هذا الكتاب الاخير يردنا بموضوعه الى اول مؤلف دبجته يراعة المعرب ، لان المشكل الاجتماعي الذي عالجه لاون الثالث عشر منذ اربعين عاماً برسالته العامة وعاد عليه بيوس الحادي عشر في هذا العام ايضاً تجديداً لتأثيره وتنفيذه في النفوس ، انما جلّه مستنبط من التعليم الفلسفي القويم المنجلي باجلى تبيان في كتاب الحقوق هذا . فقد ظهر اذن في اوانه ، وفيه مع بسط مبادئ الفلسفة الكاثوليكية تفنيد مذاهب الشيوعية والاشتراكية وغيرها من الاضاليل العصرية الماسة بحياة المجتمع المادية والادبية .

* * *

يتضح مما تقدم ان الاسقف الصالح لم يألُ جهداً في فائدة ابناء ملّته ولغته . رحمه الله ، ونفعنا بعلمه ، وجعل الكثيرين منا يسيرون على آثاره .